

الثورة الثقافية فى الصين 1965-1976

د. ميلاد أ. المقرحى

١- مقدمة

الحركة الثورية الصينية التي بدأت بتأسيس الحزب الشيوعي الصيني سنة 1921، ما كان لها أن تنتصر وتستمر إلا بقيادة ماوتسى تونج ، وثورته غير المحدودة، وقيادته الصارمة، والحاجة إلى الوحدة والنظام وحرب التحرير ،كلها أدت إلى ، وساعدت على توحيد الحزب (والثورة والأمة حول ماوتسى تونج رمزا وعلى إبراز قيادته مصدرا للإبداع والحكمة) ولم تكن الثورة الصينية فى سنة 1949 نتاج ثورة تقليدية، وإنما كانت نتاج عقدين من الحرب الأهلية، حكم الجيش الأحمر خلالها أجزاء شاسعة من الصين. وبعد سنة 1949 خلق ماو عاليا فوق جميع زملائه الثوار، ومنذ ذلك الوقت أيضا كانت صورته تحتل مكان الصدارة فى المباني العامة والشوارع والبيوت وتزين السيارات والشاحنات العسكرية . ومنذ سنة 1949 وحتى وفاته فى 1976 كان لماو تأثير لامثيل له على بلاده، وعلى كل الحركة الشيوعية الأممية ، وعلى العالم الثالث . ويعتبر ماو صاحب عبقرية وموهبة ومقدرة عظيمة فى تنظيم الجماهير وقيادتها.

وكانت أهم قضية واجهت حكومة الصين الثورية بعد سنة 1949 هي قضية الإصلاح الزراعي ولتنفيذ ذلك صدر قانون الإصلاح الزراعي فى يونيو 1950 ووفقا له تمت عملية إعادة توزيع الأرض على الفلاحين. وفى سنة 1951 شهدت الصين حملات جماهيرية تمثلت فى مطاردة أعداء الثورة وحملات أخرى ضد البيروقراطية والفساد والإسراف والجناح الاقتصادية. وفى سنة 1952 زاد التأكيد على الحملة الاقتصادية وأعلنت الخطة الخمسية الأولى 1953-1957 وتم توجيه كل دعاية الحزب نحو زيادة الإنتاج. وبدءا من أواخر سنة 1957 تدافعت الحملات الجماهيرية والأهداف الإنتاجية وأدت مباشرة إلى حملة القفزة الكبرى إلى الإمام التي أعلن عنها رسميا فى مايو 1958. وكانت أحداث سنة 1958 كبيرة الأهمية، وفى هذه السنة حاولت الثورة الصينية أن تتطرق فى تطبيق التجربة الاشتراكية، وحل أسلوب ماو فى التحريض والحث والدفع من الخارج محل المنطق والعقلانية والتطور التاريخي وشهدت هذه السنة أيضا حملة القفزة الكبرى إلى الإمام وإنشاء كوميونات الشعب.

تجاهلت القفزة الكبرى إلى الإمام المعوقات المادية والتقنية، وأرادت بناء التقدم بالاعتماد على إرادة الإنسان أساساً، واستندت إلى استنفار اليد العاملة في البلاد، إلا أنها أثرت سلباً على الأحوال الاقتصادية في البلاد، خاصة الزراعة والصناعة. أما نظام الكوميونات فهو نظام اجتماعي واقتصادي فرض على المواطنين الحياة الجماعية في معسكرات من دون أملاك خاصة. فقد كان نظام الكوميون في الصين يعنى خضوع حياة الناس للتنظيم الجماعي في جميع مجالات الحياة. وقد اتسعت طموحات الزعامة الشيوعية إلى حد أنها غدت تسعى للتحول إلى المجتمع الاشتراكي الكامل. وكان ماو يهدف إلى حل مشاكل الصين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في حملة جماهيرية واحدة، ومعالجة الركود والكساد الزراعي بالتعبئة الجماهيرية ونشر الكوميونات التي توفر أساساً للنمو الصناعي السريع حسب وجهة نظره.

ومن أجل تحويل الروح الثورية لدى الفلاحين إلى قوة مادية شن الحزب الشيوعي في سنة 1958 حملة ضد الثقافة السائدة مطالباً بالأدب والفن من أجل الفلاحين والعمال واشترك الريف الصيني في تحويل الروح الثورية إلى قوة مادية كبيرة تنتشر الشيوعية إلى الملايين في الصين. ولكن حملة القفزة الكبرى إلى الأمام وإنشاء نظام الكوميونات تزامن مع الوقف المفاجئ للدعم السوفييتي يومئذ للصين سنة 1960. ومن أجل تفادي وقوع كارثة في الاقتصاد القومي تراجعت القيادة الشيوعية عن نظام الكوميونات ولكنها لم تعترف بفشلها، وأدركت أن الفلاح لن يعمل دون حافز شخصي ولذلك لم تحاول التخلص من نظام قطع الأرض الخاصة، وتمت، الموافقة على عودة الفلاحين إلى أسلوب الزراعة الفردية⁽¹⁾. ومن ناحية أخرى بادر ماو إلى تنظيم حملات جديدة تركزت على تنقية المجتمع الصيني الذي اعتبر إقطاعياً ومتخلفاً. وفي سبتمبر 1962 بدأت الحملة التربوية الاشتراكية التي هدفت إلى تطهير الفلاحين من ميولهم الفردية الإقطاعية والرأسمالية. وبدءاً من سنة 1963 شرعت القيادة في ترسيخ جديد للعقيدة في صفوف الجيش الأحمر من خلال الكتاب/ الكتيب الأحمر الذي يتضمن مختارات من أقوال ماو. وفي كل الأحوال أصبح الطريق ممهداً لتفجير الثورة الثقافية.

ومن خلال ما أشرنا إليه سابقاً نرى أن ماوتسي تونج كان يرمى إلى ضمان استمرارية الثورة من خلال تحقيق سلسلة من الانتفاضات الثورية المتعاقبة ويرى أنه لا شيء غير هذا يؤدي إلى استمرار النضال الثوري. ويعتبر ماو الصراع الطبقي أسلوباً قياسياً في الأيديولوجية الشيوعية لضمان برنامج ثوري مستمر. وعلى هذا الأساس يبدو

1 - لمزيد من التفاصيل عن الثورة الصينية يمكن العودة إلى ميلاد أ. المقرحي تاريخ آسيا الحديث والمعاصر ج 1 شرق آسيا : الصين اليابان ، كوريا (بنغازي : منشورات جامعة قاريونس 1997) ص ص

أن الثورة الصينية آنذاك لم تكن تسعى إلى كفالة حالة من الاستقرار تتطلق في ظلها قوى الإنتاج لتحقيق الرخاء، لأن ماو كان يعتقد أن تحقيق النجاح يتم عن طريق توليد طاقات ديناميكية متصلة الحلقات ، أو من خلال إحداث موجات من الحركة ، الموجة تعقب الأخرى، وما الثورة الثقافية سوى موجة منها.

2 أصول الثورة الثقافية وبداياتها الأولى

ترجع البدايات الأولى للثورة الثقافية في الصين إلى يناير 1961 عندما كتب المؤرخ الروائي يوو - هان مسرحية بعنوان ((عزل هاى جوى)) نشرت في مجلة بكين للأدب والفنون في يناير 1961، تتحدث ظاهرياً عن قصة موظف نزيه كان يخدم الدولة في عصر إحدى الأسرات الصينية الإمبراطورية القديمة ، عزله الإمبراطور لدفاعه عن الفلاحين ضد الطغيان والظلم والتعسف. والأمر يتطلب فقط القليل من التخيل لنرى أن المؤلف يقصد بالإمبراطور ماو وبالموظف المعزول بينج تا - هوى وزير الدفاع الذي عزله ماو من منصبه في سنة 1959⁽²⁾. يكمن الغرض الحقيقي من هذه المسرحية، إذاً، في مهاجمة ماو لقيامه سنة 1959 بتصفية بعض عناصر الحزب وإبعادها وفي مقدمتها بينج تا - هوى. وقد استمرت حملة مهاجمة ماو خلال السنوات 1961، 1962، 1963 ففي يونيو 1961 نشر يوو - هان قصة موظف حكومي في التاريخ الصيني القديم ظلمه القائم على السلطة آنذاك فعزله عن منصبه ثم تبين له خطاه فعينه وزيراً للدفاع . وفي سنة 1962 نشر يوو - هان قصة رمزية أخرى تشير إلى سيرة قائد عسكري في تاريخ الصين القديم وقع ضحية اتهامات باطلة وجهها إليه الإمبراطور. وفي هذه القصة أشار الكاتب إلى الانتكاسات التي يتكبدها أصحاب السلطة لعدم اهتمامهم بالمواقف الإيجابية وإهمالهم نصائح أصحاب التجارب والخبرة. وما كان لهذه الجماعة الجراءة على سلوك هذا السبيل لو لم تعتمد على تأييد شخصيات قوية في الحزب الشيوعي الصيني.

وأياً كان الأمر فإن ماو استجاب للتحدى وأعلن ، في ديسمبر 1963، بداية خطة جماهيرية محورها أن على البلاد كلها وقيادات الحزب بالذات أن تتعلم من جيش التحرير الشعبي. كما أشار إلى أن الموتى لا يزالون يسيطرون على كثير من مجالات الفكر. وكان ماو يخشى على الثورة من أن تفقد الحماسة لها بين الأجيال المقبلة بعد أن رأى بوادر الترهل وعدم الاندفاع بين الجيل الثاني للثورة، ومن مراهنه القوى الاستعمارية على ذوبان الثورة الاشتراكية عبر تتابع الأجيال. ولم يرض ماو من وراء الثورة الثقافية بأقل من تجديد شباب ثورته الكبرى، وأن يستعيد لها الانفعال والنظام والحيوية والنشاط وهى السمات التي لازمتها طوال سنوات

النضال الثوري التي حفلت بالمتاعب والمصاعب والألام . والدافع الكامن وراء الثورة الثقافية هو شعور الزعامة بالقلق الشديد من ضعف المبادئ الثورية بفعل المغريات المادية وهي كانت أساسا من تفكير ماو وحده ، وترجع إلى تلك المثالية التي تخيلها في ذهنه عن الثورة أثناء سنوات الإعداد للثورة التي اتسمت بكرهية المثقفين وموظفي الدولة والمدن . فالثورة الثقافية فرضت فرضنا من أعلى ، أي أن الزعامة وحدها هي التي نفخت في الرماد فأحالته ضراما . وأرادت بذلك مطاردة المناوئين للثورة وتدمير المعارضة . وانصب الغضب بصورة خاصة على المثقفين والقضاء على سلوكهم البورجوازي وانحرافهم عن الخط الاشتراكي الذي اختارته القيادة . ويكمن الهدف في تحويل البلاد كلها إلى مدرسة كبيرة لفكر ماو ومضاعفة الجهود لتغيير أذهان ملايين الصينيين وعقولهم ، والحفاظ على مركز الصدارة للعقيدة واحترام العلم وضرورة أن يبقى العلم والإدارة تابعان لها . ومن أهدافها أيضا العمل على تحويل كل صيني إلى عامل يحضى بقدر كبير من الوعي الاجتماعي والثقافة الرفيعة .

وقد جمعت الصين بين الأيديولوجية الاشتراكية العالمية وبين الفكر التقدمي الثوري النابع من أعماق الريف والتراث الحضاري الصيني وهو فكر ماو . ويتسم نظام الحكم الشيوعي الصيني بالنزوع إلى الشك في الآخرين والاحساس بالاضطهاد والخوف منهم ، وبالتالي قام عبر السنين ، بشن حملات داخلية على اليمينيين تارة واليساريين تارة أخرى ، والتحريفيين في مناسبة ، واتباع تشانج كاي تشيك في مناسبة أخرى ، والمثقفين في مناسبة ثالثة . والقيادة الشيوعية في الصين مولعة بتحطيم الناس ثم رد اعتبارهم وتكريمهم . فهناك من مشاهير الصينيين من كرمتهم الحكومة الشيوعية الثورية ثم عادت وحطمتهم ، وهناك الكثير من المفكرين والعلماء الذين تعرضوا لحملات التشهير مرارا في الفترة التي تلت سنة 1952 ، ثم احتلوا مكانة رفيعة في النظام فيما بعد .

منذ يناير 1964 التفت ماو إلى الشباب وضرورة اعدادهم للمهمة القادمة ، وبدأ بتنظيم الخلايا الثورية سرا في رابطة الشباب ذاتها . وفي يونيو 1964 حذر بل أنذر المثقفين بأنهم يتزلقون إلى حافة الانحراف التام عن الاشتراكية . وفي ديسمبر من السنة ذاتها ألقى تشوان لاي ، رئيس الوزراء ، تقريرا استخدم فيه لأول مرة عبارة ((الثورة الثقافية)) وأشار إلى ضرورة إحداث تحول أساسي في المجتمع . وفي اجتماع عقدته لجنة الحزب الشيوعي المركزية في سبتمبر 1965 أعطى ماو إشارة بداية الهجوم على ما أسماه بـ " الأيديولوجية البورجوازية الرجعية " . وهذا يعنى أن تجاوز آراء ماو في أوائل الستينات وقد استمر لفترة مؤقتة . وقبل أن تفتح المدارس والجامعات أبوابها بعد عطلة صيف سنة 1965 استطاع ماو أن يعبئ تأييدا كافيا لفكرته المتطرفة وهي إيقاف الدراسة لفترة من أجل إعادة تشكيل المدارس وإعادة صياغة المناهج . وكان ماو يرى ضرورة قضاء وقت أقل في المدارس والجامعات ، وضرورة ربط التعليم بالعمل الإنتاجي وأن ينتقل الإشراف على

المدارس من أصحاب المهن التعليمية المشكوك في أمرهم إلى أيدي العمال والفلاحين ، أى يجب عدم السماح باستمرار سيطرة المفكرين البورجوازيين على التعليم وينبغي على الطلاب بالإضافة إلى الدراسة أن يتعلموا أشياء أخرى مثل الأمور العسكرية والأعمال الصناعية والحرف والزراعة، وعليهم أيضا أن يتعلموا انتقاد البورجوازية. ويتمثل الهدف التربوي عند ماو في تكوين مجتمع لاطبقى يتم فيه توجيه الأفراد نحو مصلحة الجماعة وتحت شعار "أخدم الناس" أو "أخدم الشعب". ويمكن إيجاز استراتيجية ماو التربوية على النحو الآتي:

- 1- إعادة تربية المدرسين والمتقنين.
- 2- إتاحة فرص متساوية للالتحاق بالتعليم.
- 3- ضمان توجيه خبراء المستقبل نحو الصالح الجماعي.
- 4- إعادة صياغة المناهج وتعديلها.
- 5- الاتجاه نحو لامركزية إدارة التعليم وإلغاء الوزارات المركزية للتعليم العام والعالي.
- 6- وضع المدارس الابتدائية الريفية تحت إدارة فريق منتج بمعنى الاعتماد على الذات.
- 7- تقليص مهنة التدريس والدور الأكاديمي في قيادة المدارس والجماعات وإدارتها وتغيير القيادات التقليدية في المؤسسات التعليمية (3).

ومنذ سنة 1965 قرر ماو ضرورة إرجاع الصين إلى عهد تسوده البساطة والخشونة والغليان الثوري الذي تميزت به بداية الثورة. وكانت الظروف الخارجية المتمثلة في تدهور العلاقات مع الاتحاد السوفييتي يومئذ، واحتمالات الحرب مع الولايات المتحدة في فيتنام، وحوادث الحدود بين الصين والهند، وما ترتب على ذلك من تيارات واتجاهات صينية معارضة لسياسة ماو الخارجية والاقتصادية، وظهور فجوة بين المثقفين وسياسات الحزب، هذه التطورات كلها كانت من بين الأسباب التي دفعت ماو إلى التفكير في التخطيط لعمل جديد يتغلب فيه أو به على قوى المعارضة. وقد وجد ماو في الثورة الثقافية المجال، وفي طلاب الجامعات الأداة ولا مفر من أن تؤثر الثورة الثقافية على أولئك الذين تؤثر أفكارهم في عقول الشعب، وبالتالي تركز الهجوم على مؤلفي المسرح والسينما والشعراء والروائيين والمؤرخين ورؤساء تحرير الصحف والمجلات والمعلمين وأساتذة الجامعات ، وفي كلمات شاملة كل المشتغلين في مجال الثقافة والفكر، وخاصة الأساتذة الذين يمجدون التعليم والتثقيف الأكاديمي، ولا يكثرثون كثيرا بمبادئ الثورة وأهدافها الثورية. والهدف يكمن في بناء نوع جديد من الناس بعقلية جديدة ، وأنماط جديدة. وقرر الزعيم ماو أن يتحقق ذلك على ثلاثة مستويات وهي على النحو الآتي:

أولاً: إعادة صياغة أفكار الجماهير، وما التعليم الأكاديمي سواء جانب ثانوي في التعليم العام

3 جوف فاي فليد " تطور السياسة التربوية في الصين الحديثة " ترجمة كمال توفيق الهلباوي مجاله رسالة الخليج العربي 16:8 (1985) 375 - 378 .

وتكمن أهم أهداف التنقيف الشيوعي في تعليم الشعب حب الحياة الاجتماعية، وأن يعمل من أجل المصلحة العامة للوطن، ويتقبل التضحية بالمصالح الذاتية في سبيل نجاح الثورة في المدى البعيد (٧).

ثانياً: توجيه الجهود التعليمية نحو رفع مستوى شباب الأمة الصينية.
ثالثاً: معالجة أمراض المثقفين وبخاصة كراهة المثقف للشيوعية وسلوكه البورجوازي المنحرف.

وفي منشور صدر في 16 مايو سنة 1966 حذرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي من أن هناك قضايا غير الشؤون الثقافية تتطلب قيادة الأمة، وأعلنت البداية الرسمية للثورة الثقافية : ((لقد بدأ النضال الوطني ويجب أن تنصب الجهود لتصفية ممثلي البورجوازية الذين تسلوا إلى الحزب والحكومة والجيش وجميع مجالات الثقافة)) وتم اختيار ثلاث قواعد للثورة الثقافية وهي صحيفة العلم الأحمر وصحيفة جيش التحرير اليومية ومنظمة الحزب في شنغهاي. وبلغت الثورة الثقافية ذروتها عندما هاجم طلاب جامعة بكين المسؤولين واتهمهم بمحاولة الحد من النقد حفاظاً على النظام العام. وبدأت هذه المرحلة بنشر بيان علق على حائط بالجامعة شجب رئيس الجامعة والأمين الأول والثاني للحزب بالجامعة، وأعقب ذلك حملات نقد واسعة ضد المسؤولين عن التعليم العالي. ثم سرعان ما امتدت حملة النقد إلى كبار الموظفين في المدارس والجامعات، ثم إلى المعلمين وأساتذة الجامعات. وترتب على ذلك أن عشرات من عمداء الكليات الجامعية والأساتذة فقدوا وظائفهم ومراكزهم العلمية. وكان على كثير من المعلمين أن يكظموا غيظهم في انتظار الفرصة المناسبة لردة الفعل ، ولكن تلك الفرصة لم تأت إلا بعد موت ماو في خريف سنة 1976 ونهاية الثورة الثقافية.

3- الحرس الأحمر ودوره في الثورة الثقافية.

منذ سنة 1935 كان الحزب قاعدة سلطة ماو الوحيدة ومصدر السلطة ، ولكن بعد الثورة تبين لماو عدم استطاعته الاعتماد على الحزب اعتماداً تاماً، كما كان الحال في الماضي، في تنفيذ برامجه الفكرية الثورية. فقد اعتقد ماو أن منظمات الحزب غدت غير فعالة بدرجة كافية بسبب تأثير بعض المعارضين مثل ليوتشاوتشي (5). وكان من الضروري أن يتجه ماو نحو الشباب، ومن خلالهم وبهم نجح في تأسيس منظمة الحرس الأحمر التي حصلت على الشرعية بوصفها منظمة ثورية من اللجنة المركزية للحزب في أغسطس 1966.

4 - جون فاي فليد ، المرجع السابق ، 378 .

5 - ليوتشاوتشي (1898 - 1969) كان احد ابرز أعضاء الحزب الشيوعي الصيني وطوال خمس وعشرين سنة كان يعتبر خليفة ماو . وفي سنة 1968 ابعد عن جميع مناصب الحكومة والحزب .

تشكلت أولى وحدات الحرس الأحمر فى سنة 1927 فى مقاطعة ينان الشرقية. أما مصطلح الحرس الأحمر فقد ظهر لأول مرة فى سنة 1960. وفى مايو 1966 تم تنظيم أول وحدات الحرس الأحمر بشكله الجديد، وكما أراد ماو، فى جامعة بكين، ثم انتشرت حركة تكوين الوحدات فى جميع أنحاء الجمهورية . وهكذا ظهرت قاعدة جديدة للسلطة يشن ماو من خلالها ثورة عارمة جديدة مليئة بالحيوية والنشاط والحماس الثوري. وقد أراد ماو تدعيم مركزه وزعامته من خلال الحرس الأحمر الذى أصبح الآن الجهاز الثوري الجديد . وفى 8 أغسطس 1966 عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اجتماعا وأصدرت بيانا تضمن النقاط الآتية: أولا: استرداد الزعامة من أولئك القابعين داخل مكاتب الحزب ويمارسون سلطاتهم على البلاد بالرغم من انتهاجهم النهج الرأسمالي.

ثانيا: إيجاد جهاز جديد دائم فى شكل جماعات ولجان ومؤتمرات ثقافية ثورية فى كل مناحى الحياة المهنية تتولى تنفيذ فكرة الثورة الثقافية .

ثالثا : إن الثورة الثقافية ثورة عظيمة تمس أعماق ما فى ذات الإنسان وتمثل مرحلة جديدة أشد عمقا وأشد تحولا فى الثورة الاشتراكية فى الصين.

رابعا: حدد البيان أهداف الثورة الثقافية فى سحق البورجوازية والرجعية، وإصلاح التربية والأدب والفن.

وفى 1966/8/18 عقد الحرس الأحمر أولى اجتماعاته بميدان السلام السماوي فى بكين، وحضر هذا الاجتماع ماو ولين بياو، وأصبح ماو نفسه رئيسا لمنظمة الحرس الأحمر التى كانت تتكون من طلاب تتراوح أعمارهم بين 15 و 25 سنة شريطة أن يكونوا من أبناء العمال والفلاحين والجنود ومن أبناء شهداء الثورة وتولى الجيش مهمة تنظيم هذه الجماعات من شباب الحرس الأحمر وتزويدها بالملابس الرسمية (البدلة الزرقاء) والشعارات، وخصصت لهم مراكز تدريب ونظموا على نمط فرق عسكرية لها شرطتها الخاصة. وأصبح شعار الحرس الأحمر : " تعلموا كيفية إشعال الثورات بإشعالها" كما رفع شعار تهديم الباليات الأربع وهى : التقاليد القديمة ، والعادات القديمة، والأفكار القديمة والثقافة القديمة، وأن يحل محلها فكر ماو. ولكن هذا لايعنى هدم كل ما هو قديم ولايعنى بالضرورة إلغاء التراث الصيني الفكري والعلمي. فالمقصود بالشعارات السابقة هو هدم كل ما لا يتفق مع الفكر الاشتراكي الذى رآه ماو. أما التراث فيؤخذ منه ما هو نافع ويترك ما هو ضار. ومع ذلك فإن الثورة الثقافية قد ترتب عليها تحطيم الكثير من الأعمال الفنية القديمة فى المتاحف وحتى فى البيوت الخاصة.

وتنفذا للثورة الثقافية بدأ شباب الحرس الأحمر فى اجتياح المدن والقرى حاملين دمي تمثل خصوم ماو وتهتف ضدهم تكتسح بيوتهم، وتوجه إليهم الألفاظ البذيئة النابية. واستخدام الحرس الأحمر أكثر من أسلوب لشرح فكر ماو، (واتخذ من الحزب والجامعة والمصنع والمزرعة ميادين يمارس فيها نشاطه على هيئة حلقات دراسية لفكر ماو) وقراءات للكتاب

الأحمر الذى يحتوى على مقتطفات من أقوال الزعيم ماو، ومسيرات تطوف الشوارع، وتعليق اللافتات، والتنقل بالقطارات مجاناً من مدينة إلى أخرى لنقل التجارب الثورية والهجوم على المعارضين علناً وتنظيم محاكمات لهم وممارسة النقد والنقد الذاتى فى جلسات علنية (6). وهكذا تدفق شباب الحرس الأحمر على الدولة يهتفون بسقوط كبار قادة الحزب، ويرفعون شعارات متطرفة. ومن ناحية أخرى ازداد تأثير حركة الحرس الأحمر فى المدارس تدريجياً فى كل أنحاء البلاد. وفى كل يوم كان يتم تجميع الطلاب ويحاضر فيهم قادتهم عن مدى اعتماد ماو عليهم لإنقاذ الثورة.

ومن أجل أن يظهر الحرس الأحمر ولاءه لماو قام فى الفترة ما بين 8/18 و 11/26/1966 بثمان مظاهرات عارمة فى بكين اشترك فيها ملايين الشباب بهدف لقاء ماو، وقد يتحدث إليهم أولاً يتحدث فى أكبر ميادين العاصمة اتساعاً. ويبدو أن الحماس قد سيطر عليهم ولم يعد فى ذهنهم غير ماو وما قاله فى كتابه الأحمر. وفى هذا الصدد يورد ألبرتومورافيا فى كتابه: ثورة ماو الثقافية، حواراً أجراه هو شخصياً مع بعض شباب الأحمر، ظهر فيه أن الشباب يرون أن الثورة ثورتهم: وأنهم مع ماو ضد الجميع، وأنهم يقرأون ماو وليس ماركس، وأن إقبال الجامعات تم لإتاحة الفرصة لعقد الاجتماعات ولزيارة الزعيم ماو ولقائه ولإعادة تنظيم مناهج الدراسة (7). ومن خلال الآراء التى أبداهها الطلاب، فإن المرء لا يتوقع أن تكون إجاباتهم بعيدة عما أدلوا به، وهو أمر يتفق تماماً مع ما أراده ماو منهم. والواقع أن ماو قد حقق نجاحاً باهراً فى هذا الخصوص، وأصبحت سيطرته عليهم عارمة، كما أصبحوا أداة طيعة فى يده يوجههم حيث يريد (8). وكان الطلاب يرون أن فكرة الحرس من الشعب وليس من الحزب، وأن هدفهم يكمن فى حماية الزعيم ماو ضد حفنة سلكت السبيل الرأسمالى واتخذت طريق المعارضة لماو. (كما أعلنوا أنهم يطيعون ماو وليس الحزب، وأن ليوتشاوتشى يسير فى طريق الضلال) (9). ومن طريق هذه الملايين من التلاميذ والطلاب الذين جندهم، وجعلهم يعبدونه ويقدمونه تمكن ماو من القضاء على خصومه.

وقد أدت الحملات السياسية المكثفة الموجهة لتصحيح الفكر إلى إثارة الرعب والفوضى فى البلاد ووضعت الثورة الثقافية، فيما بعد، بأنها كانت كارثة كبرى وفوضى عارمة استمرت لمدة عشر سنوات ولكن الكثير من الكتاب الغربيين قد وقعوا فى خطأ فادح عندما وصفوا الحرس الأحمر بأنه مجموعة من المعربين والمشاغبين غدوا يسيطرون على شوارع المدن.

-
- 6 - عبدا لرحيم أحمد حسين " الثورة الثقافية فى تاريخ الصين " مجلة عالم الفكر 1:19 (1988) 127 - 128 ، فؤاد محمد شبل حكمة الصين جـ 2 (القاهرة : دار المعارف 1968) 369 - 372 .
- 7 - ألبرتو مورافيا ثورة ماو الثقافية ترجمة وحيد نقاش (بيروت دار الأدب ، 1968) .
- 8 - ع . أ . حسين " الثورة الثقافية فى تاريخ الصين " 128 .
- 9 - حسن صعب ثورة الطلاب فى العالم (بيروت : دار العلم للملايين 1968) 92 .

فالحرس الأحمر فى الحقيقة، كان تجسيدا لسلطة ماو يستخدمه لترويع خصومه ومعارضيه، وكان أداة سياسية فعالة تستخدمها عبقرية أوتيت درجة كبيرة من قوة التصور والإبداع، فضلا عن كونه مدبرا فذا لاستثارة الحمية والثورة بين الشباب الذين لم يجابهوا أحداث الثورة مثلما جابهها ماو ورفاقه.

واستعدادا وتعميقا للصراع ضد خصومه ابتكر ماو تدبيرا جديدا. فقد سرت فكرة دراسة آرائه فى صفوف الجنود وجميع المواطنين ، وأصبح كل فرد يحمل كتابا يحتوى على آراء واستشهادات من أقوال ماو. وفى كل أنحاء الصين كان الناس يقرأون الكتاب الأحمر فقد كان يقرأه ركاب السيارات العامة والحافلات والقطارات، والعمال فى المصانع والفلاحون فى الحقول والمزارع، وكان يُقرأ حتى فى أثناء تناول الوجبات الغذائية. وقد استنتج بعض الباحثين المتخصصين فى الشؤون الصينية من هذا الإجراء وغيره أن ماو كان مصابا بمرض جنون العظمة وجنون الاضطهاد أى جنون الارتياب وهى نزعة عند الأفراد والجماعات تجعلهم شديدي الشك والارتياب فى الآخرين. ومع ذلك فقد برهن ماو على أنه كان عبقرى استطاع أن يوجد جَوا لا يجرأ أحد فى غماره على معارضة آرائه أو مناقشتها ومهما كانت شدة إجراءات التطهير وقسوة الأساليب التى اتبعها الحرس الأحمر ، فلم تسفك دماء ولم تجر مذابح.

استخدام ماو ضد خصومه الأساليب النفسية من خلال تدمير روحهم المعنوية، فيعجزون عن رفع أصواتهم ضده. ومثال ذلك إغراء أبنائهم بالتمرد عليهم لمخالفتهم آراءه. وقد تطور هذا الصراع أثناء هذه الفترة فى المدارس والجامعات بين مختلف فئات الحرس الأحمر. وأصبحت كل فئة من فئات الحرس الأحمر المتنافسة تصرّ على أنها تمثل الروح الحقيقية للماوية مما أدى إلى تدهور دور طلاب المدارس الثانوية والعليا الذين كانوا يشكلون غالبية أعضاء الحرس الأحمر. وبالتالي أتيحت الفرصة لطلاب الجامعات ليقوموا بدور أكبر فى الثورة الثقافية ، كما تحولت أيضا القيادة من الحرس الأحمر إلى المتمردين الثوار الذين فكروا الآن فى إقامة تحالف مع الفلاحين ، والعمال إلا أنهم اخفقوا فى تحقيق ذلك بسبب سلوك الحرس الأحمر السابق. وفى هذا الوقت اتجه ماو إلى الجيش الذى تحول إلى منظمة سياسية فعالة.

أما حركة التطهير فقد تناولت أمين الحزب ورؤساء تحرير الصحف والكتاب والقائمين على شؤون الدعاية، ومديري الإذاعات والمعلمين وأساتذة الجامعات ، إلا أنها لم تشمل ضابطا واحدا من ضابط الجيش أو مدير مصنع من المصانع. وفى الحقل الاقتصادى بالذات حاولت القيادة توفير الاستقرار فى الحياة الاقتصادية، وكان هناك حرص على عدم المساس بالإنتاج، فقد أعلن تشو إن - لاي رئيس الوزراء، أن الإنتاج مقدس، وأمر أفراد الحرس الأحمر بالابتعاد التام عن المزارع والمصانع ، كما طلب من الفلاحين والعمال عدم المشاركة

فى اجتماعات الحرس الأحمر؁ وأرسلت الحكومة فرقا من الحرس الأحمر لمساعدة الفلاحين فى حصد المحصول الزراعى. كما شكل الحزب والجيش لجانا لمراقبة أفراد الحرس الأحمر ومنعه عن الاندفاع فى الطرق والمسالك التى تضر القضايا الوطنية. وفى هذه الفترة كانت الدراسة لاتزال متوقفة فى المدارس والجامعات وأعطى الطلاب الأجانب إجازة علم. أما الجيش فكانت الروح الثورية تسوده بعد تصفية المنشقين فى سنة 1959 وبعد إجراء حركة تطهير شاملة فى سنة 1965؁ كما تم تعيين ضباط سياسيين كانت لهم الكلمة العليا فى شؤون الجيش بأسره؁ وعليه صار الجيش منظمة سياسية فعالة كما سبق القول؁ بالرغم من أنها لم تصل إلى مستوى الحزب.

وفى ربيع 1967 غدت الصين فى حالة فوضى بسبب نشاطات الحرس الأحمر والمتمردين الثوريين؁ وفقد النظام سيطرته ولكن ماو لم يتعاطف مع هذا التطرف؁ فقد كان يؤمن؁ لاريب؁ بالثورة إلا أنه؁ فى الوقت ذاته؁ كان يطالب بالانضباط والقيادة السليمة. وفى هذا الوقت كان على ماو أن يبحث عن وسائل جديدة لتحقيق ما يريد فاتجه إلى جيش التحرير الشعبى؁ فهو سلطة ملتزمة بالثورة لا تتساق وراء السلوك غير المنظم وغير المنضبط. وهكذا أعيد تنظيم مجموعة الثورة الثقافية فى الجيش وأصبحت تشيانج تشينج؁ زوجة ماو؁ مستشارة لها. ومن خلال التسلسل المنطقى للأحداث يبدو أن ماو قد وقع تحت سيطرة زوجته وتأثيرها؁ الممثلة القديمة التى قامت بدور مهم فى الثورة الثقافية منذ محاولاتها الأولى فى الهيمنة على مسرح بكين.

4- اللجان الثورية:

بعد أن جرب استخدام الحرس الأحمر فى تنفيذ مناهجه الفكرى غير ماو رأيه وفكر فى إنشاء جهاز جديد دائم فى شكل جماعات ولجان ومؤتمرات ثقافية ثورية فى جميع أنحاء البلاد لتتولى تنفيذ فكرة الثورة الثقافية. وقد كان واضحا تماما أن الطلاب كانوا يرون فى شخص ماو بديلا عن الحزب؁ وأن أفكاره هى الموجه لهم. ومن أجل أداء الهدف المنشود بكفاءة تم تشكيل لجان ثورية من بينهم تقوم بعمل اللجان الحزبية فى الوقت السابق للثورة الثقافية. وسرعان ما أصبحت اللجان الثورية هى الأداة التنفيذية والتنظيمية لتنفيذ سياسة الثورة الثقافية وبرنامجها فى دحض المعارضين والبورجوازيين والبيروقراطيين. وقد استمر إنشاء اللجان الثورية ببطء بسبب صعوبة تحديد من يمثل المتمردين الثوار والكوادر الثورية. ولكن لم يأت شهر سبتمبر 1967 حتى كانت هناك لجان ثورية فى ستة أقاليم فى حين كان الجيش يحكم بشكل مباشر فى 22 إقليما. وفيما بعد؁ عندما أنشئت اللجان الثورية فى هذه الأقاليم كانت تخضع بصورة مباشرة لسيطرة الجيش. ومن ناحية أخرى لم يبلغ ماو المؤسسات الحزبية العليا مثل المكتب السياسى؁ واللجنة المركزية للحزب؁ واللجنة السياسية التابعة للجنة المركزية وهى أعلى المؤسسات التنفيذية الحزبية؁ بالرغم من أن هذه المؤسسات لم تمارس

أعمالها وفق التنظيم الحزبي.

وأثناء الثورة الثقافية تعرض كثير من أعضاء المؤسسات الحزبية ، كان من بينهم ليوتشاوتشي⁽¹⁰⁾ رئيس الدولة، الذي أطيح به للنقد، وقد سبقت الإشارة إلى أن الحرس الأحمر قد اندفع بلا حدود في مهاجمة أى شخص باستثناء الرئيس ماو. وفي فترة من الفترات تمتع الحرس الأحمر بنوع من الحصانة، ومنعت أى سلطة من التدخل في نشاطه. وأعلن ماو " أن التمرد حق " وكان ماو يرى أن الاضطرابات ستؤدي إلى الفوضى ، إلا أنها ستحمس الجماهير وهو ما كان يريده⁽¹¹⁾. ويبدو أن الأمور قد خرجت عن نطاق السيطرة في حالات كثيرة ، ووقعت تصادمات بين الحرس الأحمر ومجموعات في المصانع والريف مما اضطر ماو إلى استخدام الجيش في إعادة السيطرة وفرض النظام، وأيضاً إعادة الطلاب إلى مدارسهم وجامعاتهم. وظهر في هذه الفترة تلاحم الطلاب مع الجيش والكوادر الحزبية الملتزمة بخط ماو، وفي حالات كثر تطاول الحرس الأحمر على كثير من المؤسسات العلمية والشخصيات الفنية والأدبية. ولكن ماو منع الطلاب من التعرض لعلماء الذرة مهما كانت هويتهم⁽¹²⁾. ففي ذروة الثورة الثقافية جرى تفجير القنبلة الهيدروجينية الصينية في سنة 1967، وقبل ذلك فجرت الصين القنبلة الذرية في 16/10/1964 وقد تعزز موقف ماو بعد تفجير القنبلة الذرية بجهد صيني ، مما جعله يدحض آراء القائلين بضرورة الاعتماد على الاتحاد السوفيتي آنذاك . كما يشير ذلك إلى صحة نظرية ماو في أهمية اعتماد الصين على نفسها أولاً في بناء قوتها وحضارتها . وهكذا برهن ماو على أنه كان واعياً لما يفعل وأن الثورة يجب أن لا تخرج عن الحدود المرسومة ، وأن المصلحة العليا للوطن ، حتى لو ارتبطت ، أحياناً ، بوجود البورجوازيين ، يجب أن لا تمس . والحق أن ماو هو الذي وضع الصين على خريطة العالم كدولة عظمى نووياً .

ومع ذلك فقد بلغت المعارضة ذروتها للثورة الثقافية حينما وصلت الأمور إلى الصدامات المسلحة بين مؤيديها ومنتقديها في ينان . ولكن هنا ومرة أخرى أثبت ماو وعيه عندما تدخل مباشرة ونجح في تهدئة الأمور وإعادتها إلى نصابها وجنب بلاده خطر اندلاع حرب أهلية . وفي أكتوبر 1968 أعلن ماو إنهاء عهد الفوضى الثورية ، كما أعلن في الوقت ذاته أن ثورته هذه لن تكون الأولى ولا الأخيرة محذراً كل من يحاول التطاول عليه أو على أفكاره الاشتراكية . وهكذا نجح ماو في تهدئة الأمور وإنهاء الفوضى التي قام بها الحرس الأحمر

10 - في سنة 1966 حل لين بياو محل ليوتشاوتشي وفي سنة 1968 طرد ليوتشاوتشي رسمياً من جميع مناصب الحكومة والحزب .

11 - ع . أ . هسين " الثورة الثقافية في تاريخ الصين " 128 .

12 - حسن صعب ثورة الطلاب في العالم ، 127 ، ميلاد أ . المقرهي موجز تاريخ أسيا الحديث والمعاصر (

فالبينا : منشورات دار ELGA 1999) 53 - 57 .

واللجان الثورية إلا أنه لم يعلن إنهاء الثورة الثقافية . وفي 24 / 4 / 1969 عقد مؤتمر الحزب التاسع وفيه تم انتخاب ماو قائداً ولين بياو الرجل الثاني بعده . وأظهر المؤتمر ولاءً مطلقاً لماو ومنحه سلطاته كاملة وفق الدستور الذي صدر في تلك السنة . وبذلك أضيف الحزب صفة الشرعية على كل الممارسات السابقة . وتعد الفترة من مايو 1966 إلى أبريل 1969 المرحلة الأولى من مراحل الثورة الثقافية في تاريخ الصين الحديث .

ومن الناحية النظرية يفترض أنه بعد أن أعاد ماو ترسيخ زعامته وسلطته وإقصاء معارضة السياسيين ومنتقديه ومن المثقفين ، وأخذ الشرعية لتصرفاته من مؤتمر الحزب — يفترض أن يعود الهدوء إلى البلاد ، وتركز الدولة على البناء الاقتصادي ، ولكن الأمور لم تستمر وفق هذا التوقع . فقد اتضح أن محاولات التطور للفكر الاشتراكي الصيني التي بدأها ماو لم تنته بعد . ومما زاد الأمور تعقيداً ظهور خلافات بين العناصر الجديدة التي تسلمت السلطة . وبدأ لين بياو ، الرجل الثاني في الدولة ، في التآمر ضد ماو ، ووصل الأمر إلى حد اتهامه بمحاولة تدبير انقلاب عسكري ضد ماو في سنة 1970 — 1971 . ولكن المحاولة أخفقت وانتهى مصيره بين إشاعات القتل أو الانتحار ، ومات في حادث طائرة في منغوليا في سبتمبر 1971 في محاولة هروب مزعومة إلى روسيا . وترك لين بياو مكانه لتشو إن لاي ليشرف على الأعمال اليومية للجنة المركزية للحزب التي تدير شؤون الدولة . واستطاع تشو إن لاي أن ينجو من أثر التناول والنقد أثناء الثورة الثقافية ، واستطاع أيضاً أن لا يكون محسوباً على أي فئة متنازعة . وقد حاول تشو إن لاي أن يقترح على ماو القيام بنقد الأيديولوجية اليسارية المتطرفة ، ولكن ماو رفض هذا الاقتراح ورأى ضرورة أن تستمر الثورة في معارضة اليمين المتطرف . وربما كان قصد ماو في هذه المرحلة هو الجماعة المهمة بتوجهاتها نحو الولايات المتحدة الأمريكية علناً وهي مجموعة زهاو آن لي .

ولجأ ماو إلى المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني سنة 1974 الذي أيد قرارات المؤتمر التاسع سنة 1969 المؤيدة للثورة الثقافية . وبعد هذا المؤتمر ظهرت قيادات جديدة في أعلى سلطة سياسية في البلاد وهي المكتب السياسي التابع للجنة المركزية للحزب . واستطاعت مجموعة ما عرف بعصابة الأربعة⁽¹³⁾ أن تصل إلى المكتب السياسي المكون من عشرين شخصاً فضلاً عن ستة أعضاء تنتخبهم اللجنة المركزية للحزب . ومع ظهور عصابة الأربعة وإبعاد لين بياو وزهاو آن لي بدأ ما يمكن أن نسميه بالفترة الثالثة من الثورة الثقافية التي أرادها ماو ضد اليمين المتطرف ، والتي تواصلت حتى موته في سبتمبر 1976 تمادت عصابة الأربعة في عمليات الدحض فضلاً عن التحقيق والتصفية اللذين لحقا بكل من أتهم بعلاقة مع لين بياو . كما وجهت اتهامها إلى رئيس الوزراء السيد تشو إن لاي ، وهو أمر رأي فيه ماو محاولة لاغتصاب سلطة رئيس الوزراء ووجه إليهم نقداً قاسياً .

وبالرغم من أن العصابة قد أخفقت في الإساءة إلى تشو إن - لاي ، فإن المرض قد أقعده وتخلّى عن منصبه سنة 1975 ، وحلّ محله تينج هسياو بينج Teng Hsia - ping الذي تحمل مسؤولية الإشراف على الأعمال اليومية للجنة المركزية للحزب . وإذا كانت بعض الممارسات الخاطئة التي صاحبت الثورة الثقافية في بداياتها الأولى تبرر بأنها كانت ضرورية لحماسة الجماهير ، فإن الممارسات التي بدأت تقوم بها عصابة الأربعة لم يعد لها مبرر ، وكانت تتسم بالمصالح الشخصية والمواقف الانتهازية .

وقد تزعم تنج هسياو بينج الاتجاه الذي يدعو إلى إصلاح الأخطاء الماضية ، وعقدت عدة اجتماعات مهمة مدنية وعسكرية لحل المشكلات التي ظهرت في مختلف مناحي الحياة ، خاصة المشاكل الزراعية والصناعية . وكان تفكيره ينبع من الواقع الذي كانت البلاد تعيشه . ويبدو أنه لم يكن مقتنعا بما كانت عصابة الأربعة تطرحه بخصوص وجود يمين متطرف في البلاد . وفي هذا الوقت (1974) كان ماو نفسه يتطلع إلى استقرار الدولة بعد ثماني سنوات من الثورة . ولكن عصابة الأربعة لم تفضل ذلك ، واستطاعت أن تؤثر على ماو ودفعته إلى دحض تنج هسياو بينج ⁽¹⁴⁾ على أساس أنه كان تحريفاً يمينياً . وترتب على ذلك نهاية فترة الاستقرار النسبي في الصين وإعادتها إلى الفوضى من جديد وغدت عصابة الأربعة هي المحركة للأحداث وليس ماو - كما أصبح الجيش بعيداً عن الخلافات ، في حين انزوت الصحافة وطلاب الجامعات أيضاً .

5 - نهاية الثورة الثقافية

في يناير 1976 مات تشو إن - لاي وتبع وفاته حادث عرف باسم حادث ميدان السلام السماوي عندما عارضت عصابة الأربعة الحداد على رئيس الوزراء الراحل ووافقت على ذلك أغلب قيادات الحزب وقمعت المظاهرات الضخمة التي تجمعت لهذا الغرض بالعنف . وأدى ذلك إلى وضع العصابة في مواجهة نقمة الجماهير التي كانت تكن كل الاحترام لرئيس الوزراء الراحل ، وفي مواجهة كثير من الحزبيين الذين تعاطفوا معه . ويعد هذا الحادث نقطة تحول في تاريخ الصين المعاصر ، حيث إنه كان بداية النهاية لعصابة الأربعة . فبعد أن تدهورت صحة ماو ومات في 9 / 9 / 1976 ، حاولت العصابة أن تتسلم السلطة ، ولكن المكتب السياسي للجنة المركزية كان لها بالمرصاد ، وقام هوا كو - فينج Hua Kua Feng - بدور أساسي في هذا الصدد . وقدمت عصابة الأربعة ومعها مؤيدوها إلى المحاكمة ، ولم يشفع لها تأييد ماو قبل وفاته . وبذلك انتهت الثورة الثقافية التي دامت نحو عشر سنوات ، وبدأت القيادة الجماعية الرباعية تمارس مهامها . ⁽¹⁵⁾

14 - تحت تأثير عصابة الأربعة ابعد تينج هسياو بينج عن منصبه بلمر من ملو .

15 - خيرى عزيز " ملوتسى تونج ومسيرة الثورة الصينية " مجلة الطلبة 12:10 (أكتوبر ، 1976) 149

وبعد موت ماو كان لابد من تعديل الاتجاه ، وأصبح هوا كو - فينج نائب الرئيس الأول للجنة المركزية للحزب ورئيساً لمجلس الوزراء في وقت واحد . وركز المؤتمر الحادي عشر للحزب سنة 1977 في مناقشاته على الاستقرار والوحدة في البلاد . ويعد ذلك إشارة ضمنية تعني أن الصين قد تعرضت للفوضى وخطر التفكك أثناء الثورة الثقافية . وبسبب التغيرات في الزعامة بعد سنة 1976 حدث تحول كبير عن القيم ومن ثمة عن سياسات الثورة الثقافية ، وظهر شجب عميق للفترة 1965 - 1976 . وتشير الانتقادات الرسمية الحالية إلى التخطيط الذي منيت به الأمة بسبب نتائج الثورة الثقافية التي أدت إلى عداوة واسعة النطاق للثقافة والمتقنين . وبعد سنة 1976 تم التعبير عن الصفة الجديدة المتميزة لما بعد الثورة الثقافية في التعليم في سنة 1977 من طريق ظهور ملصقات تحمل شعار " احترام المعلم " في المدارس والأماكن العامة ، كما استعاد مكتب التعليم سلطاته خاصة (فيما يتعلق بتعيين المعلمين ، وحلت اللجان الثورية ، وأعيدت امتحانات القبول بالجامعات) في صيف سنة 1979 وأيضاً الدرجات الأكاديمية في الجامعات . وفي سنة 1978 قررت اللجنة المركزية للحزب بداية ما يعرف بثورة التحديثات الأربعة وهي تحديث الزراعة ، والصناعة ، والعلم والتقنية ، والدفاع ، وهي سياسة انطلقت من قلب القيادة الشيوعية الصينية . (16)

6 - خاتمة

تتميز الثورة الثقافية في الصين باستمرارها فترة طويلة من الزمن وتركيزها على المتقنين والحزب والحكومة الجيش ، كما اتسمت بالمغلاة في تمجيد آراء ماو . وكان فكر الثورة الصينية يهدف إلى الصراع ويدعو إليه : الصراع بين العقيدة والخبرة ، بين أهل الثقة وأهل المعرفة ، بين المثالية والواقعية . وتبلور الهدف من الثورة الثقافية في القضاء على الانحرافات بين المتقنين وخاصة داخل الحزب . وشملت حملة النقد والسياسي رئيس الدولة ليوتشاوتشي ، ووزير الدفاع لين بياو وعضو اللجنة المركزية للحزب تنج هسياو بينج ومحافظ بكين .. الخ . كما اشتمل التطاول ثمانية نواب لرئيس الحكومة وعشرين وزيرا ونائب وزير ، وأغلب هؤلاء ، إن لم يكن كلهم ، إما أعضاء في الحزب الشيوعي الحاكم أو مؤيدين له ، وكانت كتابات ليوتشاوتش تأتي في المرتبة الثانية بعد كتابات ماو نفسه .

وعلى المستوى الثقافي شملت حملة الدحض يوو - هان مؤلف المسرحية التي فجرت الثورة الثقافية ، وماو تون Mao Tun الكاتب الصيني المعروف ومؤلف قصة " منتصف الليل " نموذجاً للأدب الصيني الحديث ، والشاعر أي شنج الذي عانى الكثير ما بين سنة 1957 و 1976 . وأتهمه رئيس معهد الموسيقى في مدينة شنغهاي بأنه يسمع الجمهور سيمفونيات حزينة تبث في نفوس الناس روح القنوط واليأس ، وأعدمت الموسيقى زهانج

زهي شن سنة 1975 . كما تم دحض الكثير من أساتذة الجامعات ، وتشير بعض المصادر إلى إعدام أعداد منهم لا سيما في جامعة بكين التي تعرض فيها من 73 إلى 90 أستاذًا لحملات النقد .

وقد كان الهدف الأساسي من الثورة الثقافية هو مواصلة الثورة في ظل دكتاتورية البروليتاريا . وما هدف إليه ماو من جعل الشباب يأخذون دورهم في الثورة الثقافية ، ولكن أهداف ماو التي تحقق الجزء الأكبر منها مع نهاية سنة 1966 ، لم تستمر أهدافا للثورة . فقد ظهر لين بياو وجماعته ، ثم عصاة الأربعة ومؤيديها ، وانحرفت الثورة عن هدفها المرسوم لها . ولم يعد تثوير الأجيال وتجديد الثورة هدفا بقدر ما أصبح تحقيق الطموحات الشخصية في الاستيلاء على السلطة هو الهدف الأساسي ، وخاصة خلال فترة تدهور صحة ماو . ولم تلجأ مجموعة عصاة الأربعة إلى العنف أو استخدام الجيش في إحداث انقلاب عسكري حفاظاً على وحدة البلاد ، وبقي الجيش بعيداً عن الصراعات الداخلية ، وهو أمر تميزت به الصين منذ سنة 1949 عن غيرها في أغلب بلدان العالم الثالث التي حصلت على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية .

وخلاصة القول لقد كانت أهداف الثورة الثقافية بالنسبة للبعض بمثابة حلم المدينة الفاضلة الذي لا يمكن تحقيقه نظراً لأن تلك الأهداف كانت تحلق في سماء الطبيعة البشرية . وانتقد الكثيرون توقيت الثورة الثقافية على أساس أنه غير مناسب للمرحلة الحالية ، أي في ذلك الوقت من التطور الاشتراكي وأشار آخرون إلى إخفاق زعماء الثورة في إدراك الارتباط بين طبيعة النظم التربوية وما يترتب عليها من فشل في التأثير على التغيرات الأساسية في النظام الاقتصادي والسياسي الضروري لبقاء الابتكارات التعليمية . ومع ذلك فإن الثورة الثقافية قامت بردة فعل متميزة للدفاع عن الهوية الصينية الثقافية والتاريخية لمقاومة التزمت الاستعماري الغربي الذي يريد أن يفرض ثقافته الاستهلاكية وقانون السوق بما فيه من شراهة

لاستغلال العالم بأسره . ويمكن أن نستنتج أن ما حدث كان وراءه حافز سياسي داخل الصين وخارجها ، وخاصة علاقة الصين بالاتحاد السوفييتي آنذاك ، ووجهة نظر ماو حول ما حدث فيه بعد سنة 1956 عندما جرى الحط من قدر ستالين ووضع تاريخه في زاوية الإهمال . ولم تكن الثورة الثقافية حدثاً عارضاً في تاريخ الصين بل كانت مثار جدل ونقد ، واستمر الموقف الحزبي تجاهها في التآرجح حتى سنة 1984 عندما أعلن رسمياً عن رفضها نهائياً .